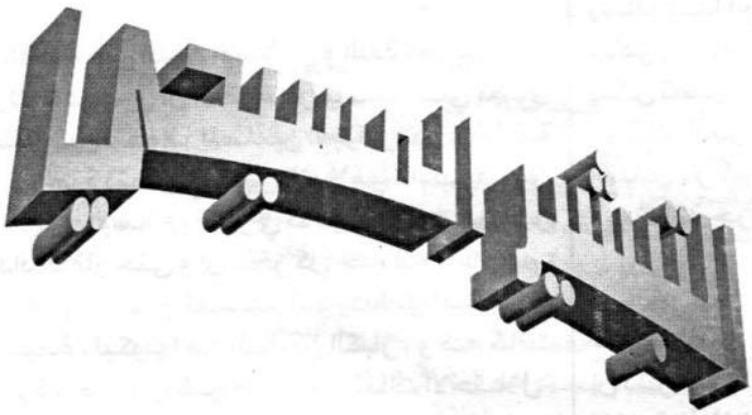

الجزء الثاني

في منطقة جرجرة قبل 1900

الأستاذ محمد الطاهر وعلي

III - أهداف الحملة التبشيرية على منطقة جرجرة

لقد سعى المبشرون إلى إحداث تغيير جذري في المجتمع الجزائري بمنطقة جرجرة ، و خاصة في الوسط العائلي ، و ذلك بالعمل ، دون كل على تكوين جيل من النصارى ينبذ أفراده ماضيهم الإسلامي ، و يندمجون روحيا في الثقافة الفرنسية المسيحية . و المبشرون بمحاولتهم تحقيق هذا المسعى اعتبروا أكبر سند لسلطات الاحتلال في العمل على استعمار الجزائر ثقافيا ، إذ إن هذه السلطات أدركت بأنه بعد إحكام السيطرة على الأرض بواسطة السلاح ، لابد أن يكمل المبشرون إحكام السيطرة على العقول بنشر المسيحية ، و الطعن في الدين الإسلامي . و عموما تتلخص أهداف الحملة التبشيرية على منطقة جرجرة فيما يلي :

أ - القضاء على الدين الإسلامي و اللغة العربية .

ب - نشر لغة و ثقافة المستعمر بين السكان المنطقة و خاصة فئة الأطفال منهم .

جـ - تكريس الاحتلال و الإدماج و القضاء على الثورات التي تندلع من حين إلى آخر .

د - تهيئة الأرضية الصالحة للتنصير و إعادة المسيحية إلى الجزائر .

هـ - التنصير الذاتي أي تنصير الجزائري في منطقة جرجرة .

و- تكوين نخبة موالية لفرنسا .

ز - مؤازرة جهود سلطات الاحتلال في الاستعمار الثقافي و خاصة في مجال التعليم

أ - القضاء على الدين الإسلامي و اللغة العربية :

أدرك لا فيجري أن العقبة الرئيسية التي تعوق تغلغله بين صفوف المسلمين الجزائريين و خاصة في جرجرة تتمثل في الدين الإسلامي . ذلك لأن من لا يدين بالإسلام يعتبر في نظر الجزائريين من عداد الكفار حتى و إن سخر كل خدماته لصالحهم ، و يتجلى ذلك في تمنيهم لو ينطق المبشرون بالشهادة ، ليكونوا من المسلمين الكبار ، و كم كانت ثائرة لا فيجري كبيرة على سلطات الاحتلال ، عندما رفعها للقيود المفروضة على الجزائريين لأداء فريضة الحج سنة 1876 ، و لقد أداها سنتئذ ثلاثة و ثمانون حاجا من دائرة الأربعاء ناث ايراثن وحدها ، و قدمت مائة و ثمانون عشر رخصة لنفس الغرض سنة 1879 .

و لكن لماذا يعادى المبشرون الذين الإسلامي ؟ تمكن أهم أسباب معادة المبشرين للإسلام و على رأسهم لا فيجري في الأمور التالية :

1 - إن الدين الإسلامي هو مصدر الثورات التي ينظمها الجزائريون ضد المحتلين و هي ثورات تتخذ في غالبيتها صبغة الجهاد في سبيل الله و لقد أشرنا سابقا إلى إتباع الطريقة الرحمانية هم الذين غذوا ثورة المقرانية .

2 - إن الدين الإسلامي هو مصدر الأحكام المسبقة للمسلمين تجاه المبشرين مما يجعل قبولهم لأفكار هؤلاء أمرا صعبا و مستحيلا أحيانا .

- إن الدين الإسلامي هو العائق الأكبر لنجاح حملة التنصير المفروضة على الجزائريين في منطقة جرجرة .

أما بالنسبة للغة العربية - و هي التي كانت تدرس في غالبية قرى جرجرة - و يجيدها عدد كبير من سكان المنطقة ، فإن العمل على القضاء عليها بمنع تدريسها أو مزاحمتها بالمدارس الفرنسية العمومية و التبشيرية ، كان القصد منه الوصول إلى إحداث هوة سحيقة بين الأمازيغ و دينهم الإسلامي و كم كان أسف لا فيجري كبيرا عندما أدخلت سلطات الاحتلال اللغة العربية كمادة دراسية في برامج مدارس التعليم العمومي الفرنسي . و قد وجه رسالة بهذا الصدد إلى الحاكم العام للجزائر ماك ماهون مبديا عدم رضاه يقول فيها : إن ما لا يمكن تصديقه هو تعليم القرآن باسم فرنسا لأولئك الذين لم يعرفوه أبدا ، كسكان منطقة القبائل .و كم كان تجاهل لا فيجري لمكانة العربية في منطقة جرجرة كبيرا .

ب - نشر لغة وثقافة المستعمر بين سكان المنطقة و خاصة فئة الأطفال منهم :

إن نشر لغة وثقافة المستعمر بين سكان جرجرة ، و خاصة الأطفال يستجيب للأهداف العامة لسياسة فرنسا التعليمية في الجزائر . لذا فالنتيجة الحتمية التي أراد المبشرون و غير المبشرون بلوغها من محاربة الدين الإسلامي و اللغة العربية هي جعل لغة القبائلي فرنسية و تفكيره فرنسيا ، و عاداته و نمط معيشته فرنسية ، و يقر البعض منهم إن الخدمات التعليمية التي يقدمها المبشرون للأطفال ، ستجعلهم في المستقبل أكثر تفتحا للفكر المسيحي . بينما يرى آخرون إن اللغة الفرنسية سيستعملها الجزائريون لتسهيل علاقاتهم و معاملاتهم مع الفرنسيين .

و مهما يكن من أمر ، فإن العمل على نشر اللغة و الثقافة الفرنسية يرمي في المد البعيد إلى أن يترك الجزائريون في منطقة جرجرة العربية كلغة دينهم و إلى إن ينبذوا ماضي أجدادهم المسلمين ، و ليتبنوا لغة المحتل و عاداته و دينه في نهاية المطاف.

جـ - تكريس الاحتلال و الإدماج:

لماذا سعى المبشرون إلى تكريس الاحتلال في الجزائر و عملوا على إن يقبل أخل البلاد للأمر الواقع المفروض عليهم ؟ و ما هي الوسيلة التي اتبعوها في ذلك ؟ و ما هو نمط الإدماج الذي أرادوا فرضه على الجزائريين في منطقة جرجرة ؟

يرى المبشرون و على رأسهم لا فيجري أن العمل على إدماج سكان جرجرة ليصبحوا فرنسيين هو أحسن من محاصرتهم خوفا من تعصب يستمد جذوره من الإسلام ، مما يباعد بينهم و بين

الفرنسيين ، و قد اتخذوا من الإدماج النتيجة الحتمية التي يجب أن تسعى سلطات الاحتلال إلى بلوغها و رأوا إن الخيار يجب إن يكون بين أمرين :
إما الإدماج أو الهدم ، أي أن يقبل الجزائري الإدماج أو أن تهدم كل مقومات الشخصية إن الجزائري المدمج هو في واقع الأمر مهدم في كليتا الحالتين ، إذ أن هذا الأسلوب في معاملة الجزائري يعني في منظور المحتمل أن يبقى مواطنا من الدرجة الثانية في بلاده ، يحتفظ بنمط معيشته و ملبسة و بالمقابل يطلب منه إن يتخلى عن دينه و لغته ليتقمص لغة المستعمر و دينه . و بذلك يعمل على خدمة مصالح فرنسا الاستعمارية حتى خارج الجزائر .
أما الوسيلة المتبعة في الإدماج ، فهي العمل على توجيه أنظار الجزائري نحو البلد الغازي لإبهاره بعظمة هذا البلد و أمجاده و يرى أحدهم في هذا الصدد أن سكان جرجرة لن يعتبروا فرنسا كبلد تتبناهم ، بل كوطن طبيعي تمثل منطقة القبائل أحد أطرافه الصغيرة .
إن المبشرين في الجزائر و بالأخص في منطقة القبائل كانوا أكبر سند للاستعمار الفرنسي في العمل على محو الهوية الوطنية لسكان المنطقة و في العمل على تكريس احتلالهم لها.

د- تهيئة الأرضية الصالحة للتنصير و إعادة المسيحية إلى الجزائر :

إن الهدف الرئيسي من احتكاك المبشرين بالجزائريين في منطقة جرجرة كان من أجل العمل على تنصيرهم ، و بذلك يعيدون النصرانية إلى ربوع هذه البلاد بعد أن زالت منها إلى الأبد بعد الفتح الإسلامي ، و حينئذ يتحقق حلم لا فيجري الذي ما أنفك يراوده ، في بعث الكنيسة الإفريقية المندثرة ، و قد كان يقول في إحدى كتاباته : أخرجي يا إفريقيا المسيحية من قبرك ، فلمي حطامك المنثورة على الجبال و الصحاري ، خذي مكانتك تحت شمس الأمم ، و بين أخواتك في الحضارة .
لقد عقد المبشرون ، و على رأسهم لا فيجري كل آمالهم على أطفال منطقة جرجرة في العمل التبشيري ، إذ كانوا يرون فيهم الأمل في مستقبل النصرانية في الجزائر ، و لتحقيق ذلك أنشئوا لهم المدارس ، و استقدموهم إليها بشتى الحيل و المغيرات ، و قد عمدوا بادئ ذي بدء إلى إطلاعهم على تاريخ الدين و الكنيسة في الجزائر ، كما سعوا في كثير من المناسبات إلى تذكيرهم بأن من أجدادهم من وصل إلى مصاف رجال الدين العظام مثل القديس أو غستان (ST AUGUATIN) ، و أن العرب هم الذين قتلوا كل فساوتهم .

هـ - التنصير الذاتي أي تنصير الجزائري للجزائري في منطقة جرجرة :

إن المقصود من التنصير الذاتي هو أن يقوم الجزائريون بتنصير بعضهم البعض سواء بشكل غير مباشر عن طريق التأثر بالمتنصرين نتيجة لما يلقاه هؤلاء من العناية و الرعاية من طرف المبشرين ، في كل مجالات الحياة ، من توفير للعمل و المأوى و غيرها ، و ذلك في مجتمع عملت سلطات الاحتلال كل ما في وسعها لتفقير أفراده .
و هكذا أستخدم المبشرون الجزائريون في منطقة جرجرة لأغراضهم التنصيرية فوظفوهم في مدارسهم كممرنين ، و شغلهم كملقنين للإنجيل في المستشفيات التي أشرفوا على إدارتها ، كما استعانوا بهم في ترجمة الإنجيل إلى القبائلية ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك إذ سمحوا لهم بالقيام بعملية التعميد فيما بينهم ، و تروي السيدة عمروش أن مراسيم زواجها كانت تحت إشراف مبشر جزائري (من يتامى المجاعة الذين دخلوا سلك الرهبنة) .و يدعى ابن ميرة و الذي استقدم خصيصا من العطاف لهذا الغرض .
و لم يخف على المبشرون المرأة المتنصرة في التنصير الذاتي ، لذا سعوا إلى جذب الفتيات إلى مدارسهم لتعليمهن مبادئ اللغة الفرنسية و شؤون البيت ، و توسلوا عند أوليائهن إلا يزوجوهن إلا للشبان الذين يزاولون دراستهم في المدارس التبشيرية . و واضح هنا أن السر في هذا السعي هو الوصول إلى تكوين أسر من المتنصرين ، لإخلاف ذرية متنصرة .
إن عملية التنصير الذاتي تحقق للحركة التبشيرية الدوام ، و قد سئل ذات يوم مبشر يسوعي عن

الغاية من تكوينه للمقنين للديانة المسيحية فأجاب إذا حدث أن مات كل القساوسة ، لأن المسيحية ستبقى حية بواسطة هؤلاء .

و - تكوين نخبة موالية لفرنسا :

نعني بالنخبة تلك الصفوة من الناس التي بإمكانها إن تمسك مقاليد الأمور و تسير شؤون المجتمع ، و ذلك تتمتع به من نفوذ يتخذ أشكالا مختلفة كالنفوذ الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو الديني. إن سعي المبشرين لتكوين هذه النخبة الموالية لفرنسا و الاهتمام بها يعود إلى أنها مؤهلة للتأثير على ذويها أكثر من غيرها من أفراد المجتمع ، نظرا لما تحظى به من مكانة و تقدير بينهم ، و ذلك حسب توجيهات المبشرين من جهة ، و حسب توجيهات سلطات الاحتلال من جهة توجيها المبشرين من جهة ، و حسب توجيهات سلطات الاحتلال من جهة أخرى ، كما إن هذه النخبة التي تكونت في مدارس المبشرين تكون أكثر تفتحا للفكر المسيحي ، و للثقافة الفرنسية ، و أكثر استعدادا للدفاع عنهما و العمل على نشرها .

ز - مؤازرة سلطات الاحتلال في الاستعمار الثقافي لسكان جرجرة:

لقد وقعت منطقة جرجرة فريسة نظامين تعليميين الأول و هو التعليم التبشيري الخاص الذي يسير شؤونه المبشرون ، و الثاني التعليم الفرنسي العمومي الذي كان تحت إشراف إدارة الاحتلال ، و أسس كل من النظامين مدارس عديدة بقرى المنطقة ، و قد حدث تنافس حاد بين النظامين في البداية من اجل الاستحواذ على التلاميذ الجزائريين ، غير إن المسؤولين عليهما ، أدركوا بسرعة إن جهودهم تخدم مصلحة استعمار ثقافي و ديني واحد ، و بذلك كفوا عن المنافسة و كثفوا جهودهم لتحقيق هذه المصلحة . و قد نادى بعضهم بضرورة اعتماد التعليم العمومي على التعليم التبشيري لكونه أسبق تأسيسا بالمنطقة و أكثر تجربة في التعامل مع أطفالها ، و أحسن إتقانا للهجتهم .

IV - الوسائل التي استخدمها المبشرون في حملتهم التنصيرية بجرجرة

استخدم المبشرون وسائل متعددة ، لتحقيق أهدافهم التنصيرية ، فقد اهتموا بالصغار ، مثلما اهتموا بالكبار ، و قربوا إليهم الفقراء ، مثلما تقربوا من الأغنياء ، اعتنوا بالمرأة و شؤونها ، مثلما اهتموا بالرجل و أعماله ، سعوا إلى المريض بدعوى علاجه ، كما سعوا إلى السليم بدعوى المحبة و الاحترام ، تبادلوا الحديث مع الأمي البسيط ، كما جادلوا المثقف و الفقيه . لقد كان الصبر دستورهم و الدهاء نبراسهم و الحيلة سبيلهم ، و كل ذلك من أجل زرع المسيحية و اللغة الفرنسية في منطقة جرجرة و محاربة الدين الإسلامي و اللغة العربية فيها .

تتمثل الوسائل التي استخدمها المبشرون لبلوغ أهدافهم في ما يلي :

أ - التعليم

ب - التطبيب

جـ الأعمال الخيرية

أ - التعليم كوسيلة للتبشير :

يتجه المبشرون ، حيث ما حلوا قصد الدعة إلى النصرانية ، نحو الأطفال ، و يعود اهتمامهم بهم إلى سهولة التأثير عليهم و إلى أملهم في الاعتماد عليهم في عملية تنصير ذويهم في المستقبل . و يلاحظ أن المبشرين في بداية عملهم يتجهون نحو أبناء الفقراء و الأطفال اليتامى .

- كيف استخدم التعليم كوسيلة للتبشير :

تعتب البرامج الدراسية الوسيلة التي بواسطتها يستخدم التعليم للتبشير ، إذ يستوحى كل النصوص التي يدرسها التلاميذ من الإنجيل .

و لاستقدام التلاميذ إلى مدارسهم اتبع العشرون أساليب متعددة في منطقة جرجرة منها منح مبلغ مالي بسيط لكل طفل يقبل إلى مدرستهم و مبالغ أخرى لكل من يستقدم زميلا له ، و لأصحاب المراتب الأولى في الاختبار الأسبوعي و لمن يواظب على الدراسة .أما في المدارس المهنية فيمنح المبشرون مرتبات شهرية للتلاميذ حتى لا يمانع أولياؤهم من إرسالهم إلى هذه المدارس .

ب - التطبيب كوسيلة للتبشير :

يعتبر التطبيب في العمل التبشيري أكثر شمولا ، و أبلغ أثرا من الوسائل الأخرى ، ذلك لأنه موجه للصغار و الكبار ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى قد يكون وقعه على نفوس الأفراد أكثر تأثيرا ، لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم و التخفيف من آلامهم .

استخدم المبشرون التطبيب كوسيلة للتنصير بطريقتين :

الأولى : استقدام المرضى إلى المستشفى ، و بهذا الصدد أسس الحاكم العام للجزائر جول كامبول (JULES CAMBON) مستشفى في بني منقلات بمنطقة جرجرة و هو مستشفى سانت اليزابيت ، و أسند تسيير شؤونه إلى الأخوات البيضاوات .

و الثانية : هي علاج المرضى في منازلهم مما يسمح للمبشرين بالاحتكاك أكثر بالسكان و الوقوف على أحوال معيشتهم للبحث عن قرائن أخرى تساعدهم في حركتهم التبشيرية .

وتكمن أهمية التطبيب في العمل التبشيري لكون المبشرين سيسعون إلى إظهار خصالهم الخلقية الحميدة كالطيبة و الرأفة و التسامح و محبة الناس و الاهتمام بصحتهم ، و كلها صفات لا يمكن لسكان جرجرة أن يغضوا الطرف عنها دون أن يتأثروا بها مما يؤدي إلى أن يتعلقوا بالمبشرين في آخر الأمر.

و تكمن أهمية التطبيب أيضا في العمل التبشيري ، بمنطقة جرجرة في كونها إحدى وسائل جلب الفتيات الجزائريات للعمل مع المبشرات في المستشفى بغرض تنصيرهن .

اتبعت المبشرات طريقتان للدعوة إلى النصرانية في مستشفاهن : طريقة مباشرة و صريحة تتمثل في أخذ القادرين من المرضى إلى حضور القداس الذي يقام في معبد المستشفى صباح كل يوم ، و ترويح دعاية بينهم ، مفاد أن الجنة لا تكون إلا من نصيب الذين يعمدون قبل الوفاة . و طريقة غير مباشرة كإقامة المبشرات لصلواتهن في قاعات المرضى قصد جلب انتباههم إليهن .

و كثيرا ما كان يحاول المبشرون و المبشرات أن يوهموا سكان جرجرة بان ما يقومون به من تقديم للإسعاف و العلاج ناتج من كونهم مسيحيين ، و إن العناية الإلهية هي التي أملت عليهم القيام بهذه المهمة .

ج - الأعمال الخيرية كوسيلة للتبشير :

لقد أوصى لا فيجري مبشريه بان يحرصوا على استخدام الأعمال الخيرية في حركتهم التبشيرية في منطقة جرجرة لما لها من تأثير في تقريب الجزائريين إليهم إذ يقول : أعطوا كرم الله كما يقولون (أي الجزائريون) لكل من يدق بابكم ، و علاجا لأمراضهم ، و مأوى ليتماهم الصغار ، و

للجميع قدموا الدليل الحقيقي بأنكم تحبونهم كإخوانكم و شيئا فشيئا سترونهم يقتربون منكم عند ملامستهم لفضائلكم الخيرة ، و هكذا تهيئون اليوم الذي سيرى فيه من يأتي معكم إلى هنا قطيعا واحدا ، و راعيا واحدا .

و بصفة عامة سخر المبشرون أعمالهم الخيرية لخدمة النصرانية في منطقة جرجرة على النحو التالي :

- الاهتمام باليتامى و ذلك بإقامة ملجأ لهم هو ملجأ ثدارت أفلة .
- تقديم يد المساعدة للمقبلين على الزواج من المتنصرين و ذلك بتوفير كل الوسائل اللازمة لذلك ابتداء من البحث عن الخطيبة و تقديم المهر لأوليائها إلى توفير المسكن للزوجين المتنصرين ، و إلى تقديم المساعدات المالية لهم .

تقديم هدايا في عيد ميلاد المسيح تمثل في قمصان للبنات و شاشات للبنين و مناديل و فساتين للنساء.

كيف تمكن المبشرون من استخدام التعليم و التطبيب و الأعمال الخيرية في التبشير :

تعود قدرة استخدام المبشرين للوسائل السابق ذكرها إلى امتلاكهم لجملة من الأدوات و تحليهم ببعض الصفات التي مكنتهم من الدعوة إلى النصرانية بين سكان جرجرة ، و من هذه الأدوات و الصفات ما يلي :

1 - امتلاك أداة الاتصال مع سكان المنطقة و تتمثل في إتقانهم للهجة القبائلية ، مما مكنهم من وضع مجموعة من المؤلفات بها و هدفهم في ذلك ليس المحافظة عليها من الاندثار ، بقدر ما يرمون إلى تسهيل تعلمها على ذويهم من المبشرين .

2- امتلاك الوسائل المعنوية و التي تتمثل في تحليهم بالصبر و التفاني في العمل التبشيري و الحذر و التسامح و كلها صفات ما انفك لا فيجري يحثهم على الأخذ بها ، و يقول مبشر بهذا الصدد : إذا أردنا أن نخضع الناس للإنجيل ، يجب أن نخضع نحن لهم ، و نظهر إزائهم بمظهر المغلوب ، و بذلك سنتمكن في نهاية المطاف أن نخضعهم إلينا .

3 - توفر الأموال ، إذ من الواضح انه بدونها لا يمكن أن تنجح الحركة التبشيرية ، سواء في منطقة جرجرة أو في غيرها من مناطق البلاد و الملاحظ هنا هو تعدد مصادر تمويل المبشرين ، إذ تأتيهم على شكل مساعدات تقدمها لهم الدولة الفرنسية ، أو تبرعات من بلدان أجنبية أو هيئات من طرف شخصيات تضمر العداء للإسلام ، أو مساعدات من الفاتكان مثلما فعل البابا بيوس التاسع .

V - موقف سكان جرجرة إزاء الحملة التبشيرية المسلطة عليهم

لقد سبق التطرق في هذا البحث إلى أن المبشرين و الفرنسيين عموما راهنوا على إسلام سكان جرجرة بتشكيك في إيمانهم به ، و جعلوا هذا التشكيك مصلحة للسعي إلى تحقيق مآربهم التنصيرية بالمنطقة ، و في هذا الجزء سنحاول الإجابة على جملة من التساؤلات هي :

1 - هل رضي أجدادنا من سكان جرجرة بمقدم المبشرين إلى قراهم ؟

2- كيف قابلوا المبشرون الأوائل الذين استقروا بين ظهرانيهم ؟

3- كيف كان موقفهم من المدارس التبشيرية التي أست بالمنطقة ؟

4- كيف عاملوا المتنصرين من ذويهم ؟

1 - لم ينظر سكان جرجرة بعين الرضى إلى مقدم المبشرين إلى قراهم ففي رسالة للكلونيل هانوتو (CL HANOTEAU) موجهة للجنرال بوريل بتاريخ 23 ماي سنة 1868 من الأربعاء ناث ايراثن تتعلق باستقصاء حول إمكانية التبشير في منطقة القبائل ، إذ خطرت بباله فكرة فتح أمين القرية في الأمر و استشارة أهل قبيلته إزاء قبولهم لخوري بينهم قال : لقد جن جنونهم ، و خفت أصواتهم ، و لفكرة أن يصبحوا نصارى قالوا الأحسن إن نغادر البلاد ، الأحسن أن نموت .

أما جماعة أيت فراح فقد كان جوابهم للمبشر كروزا عندما استأذنهم عن إمكانية الاستقرار في قريتهم ن كالتالي :

لن نترك ديننا أبدا ، و إذا أردت الحكومة (الفرنسية) أن ترغمنا على ذلك ، فإننا سنطلب منها وسيلة لمغادرة البلاد ، و إذ لم نتمكن من ذلك ، فإننا نفضل الموت ، بدلا من أن ندخل في دينكم ، أم فيما يخص طلب هذا القسيس ، في العيش معنا ، فليحفظنا الله من قبوله ، و إذا حدث أن سكن قريتنا ، فإننا ستغادرها جميعا .

2- على الرغم من أن سكان جرجرة رفضوا استقرار المبشرين بينهم إلا أن هؤلاء استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم عليهم ، و لكن كان رد الفعل إزاءهم عنيفا ، إذ رفض للأوائل منهم كل شيء في قرية تمقونت أو عزوز كما قابلوهم بالحذر و العداوة و الإهانة ، و كثيرا ما كانت ممتلكاتهم تتعرض للنهب (سنة 1876) ، غير أن قوات الاحتلال منحتهم حمايتها و فرضت غرامات مالية على السكان اثر كل اعتداء ، و تأزمت العلاقات بينهم اكثر ، فيما بعد ، عند قيامهم بتهريب الأطفال من المنطقة إلى الجزائر العاصمة و فرنسا بعد تنصيرهم.

3 - أما موقف سكان جرجرة من مدارس المبشرين فكأنه يمتاز بالتذبذب ، فتارة يرسلون أبناء إليها ، و تارة يمنعونهم عن ذلك ، و يعترف المبشرون أنفسهم بأن اهتمام السكان بهذه المدارس ضعيف إذ يفضلون أن يعلموا أبناءهم فرائض الصلاة و القرآن الكريم و كثيرا ما يعاقب الآباء أبناءهم إذ دخلوا هذه المدارس دون إذن منهم .

4 - أما علاقة المتنصرين بأهلهم في جرجرة فقد كانت سيئة للغاية ، فكثيرا ما يتعرض المتنصر للنبذ ، إذ أن على الفرد الذي يريد أن يتنصل من الإسلام ، أو العائلة التي تتنصر أن يغادروا المنطقة عن طواعية أو بالقوة كما يلقى الشبان المتنصرون صعوبات في الزواج ، إذ ترفض كل عائلة مصاهرة هؤلاء ، أما إذا عثروا على فتاة و غالبا ما تكون من اليتيمات فإن أهلها يطلبون مهرا مرتفع الثمن ، و كثيرا ما تنتهي هذه الخطوبة بالفشل ، و إذا تم الزواج فلا مكان للأسرة الجديدة في القرية و قد تتأزم العلاقة بين المنتصر و ذويه لتصل إلى حد محاولة القتل ، إذ أن مواطنا رمى أحد أقاربه سنة 1900 في البحر ، و كان قد نصر في (اغيل علي) ، و ما كان من سلطات الاحتلال إلى إن زجت به في سجن لامبير (تازولت حاليا بباتنة) إلى إن توفي فيه .

و هكذا يعترف المبشرون إن محاولاتهم التنصيرية قبل سنة 1900 لم تكن مشجعة إذ يقولون عندما نربي يتمانا المسلمين ، و نزوجهم ، و نقدم المهور لزوجاتهم ، تكون سلطتنا عليهم رمزية فقط ، و بذلك ينفصل كثيرا منهم عنا ، و يعودون في الغالب إلى إسلام ، و أحيانا ، و تحت الضغط الاجتماعي ، يلجئون إلى ترك الزوجة المتنصرة ، و يتزوجون من جديد على الطريقة الإسلامية . و يقر المبشرون أن تعلق سكان منطقة القبائل بالإسلام ، كان العائق الكبر على إدماجهم في الثقافة الفرنسية المسيحية .

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث إن نسلط الضوء على جزء هام من تاريخ منطقة جرجرة ، ذلك لأن المبشرون و سلطات الاحتلال ، مسوا سكان جرجرة بالسوء ، و ارتكبوا في حقهم ، و في حق الأمة الإسلامية بالجزائر خطأ حضاريا لا يغفر لهم . فعلى الرغم من أن أجدادنا هناك ، كانت لهم موقفهم الشجاعة في الدفاع عن الإسلام و اللغة العربية ، و في رفض التنصير و الإدماج ، إلا أن الوسائل المادية المسخرة لإنجاح هذه الحركة التدميرية ، و أساليب الحيلة المتبعة فيها ، قد مكنت هؤلاء ، بعد عدة أجيال ، من تحقيق بعض من مبتغاها ، و لعل الوقوف على جذور المشكلة سيقود العيون التي فقدت البصر إن ترى النور إن شاء الله .